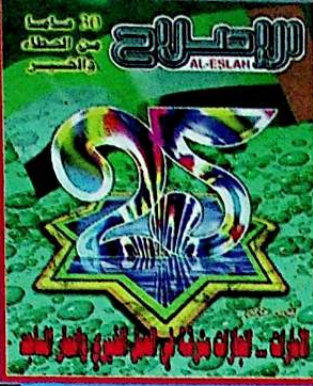


عالم النبات يشهد على وجود الخالق



الإصلاح

AL-ISLAH

19 عاماً من
الإصلاح

تحديات كبيرة تواجه العرب ...
والمعلومات سلاح الحروب القادمة

في عصر الأسلام والسين في الصين؟



من ينصر الاسلام والمسلمين في الصين؟

نبيل شبيب - بون

يبدو ان الصين الشعبية حريصة اشد الحرص على المضي بشيوعيتها الاستبدادية على الطريق التي سلكها الاتحاد السوفييتي من قبل الى النهاية، ولكن لا يبدو ان عمر الشيوعية في الصين سيبلغ سبعة عقود من السنوات كما كان في الاتحاد السوفييتي، رغم الشبه الكبير بين الطرفين، فما مارسه القيصرية الروس من سياسة استعمارية استيطانية توسعية دموية، على حساب الشعوب والاراضي الاسلامية وسط آسيا وفي القوقاز على وجه التخصيص، مارسه القيصرية الصينيون في القرنين الماضيين حذو النعل بالنعل، وإن لم يصلوا الى نتائج تماثل ما وصل اليه اقرانهم الروس. وكما تابعت الشيوعية السوفييتية منذ العشرينات الميلادية السياسة القيصريّة تجاه المسلمين وارضيتهم، وازافت عليها مزيدا من الوحشية الدموية في عهود لينين وستالين وخلفائهما، كذلك فقد صنعت الشيوعية الصينية صنيعها، ابتداء من مطالع الخمسينات الميلادية بعد ان وصل ماوتسي تونج الى السلطة.. والواقع ان ما تواجهه الصين من مقاومة اسلامية متصاعدة ايضا، كانت احداث شباط/فبراير في تركستان الشرقية حلقة من حلقاتها التاريخية المتوالية، لا يختلف الا من حيث التسميات والمواقع الجغرافية عما واجهه الاتحاد السوفييتي من قبل



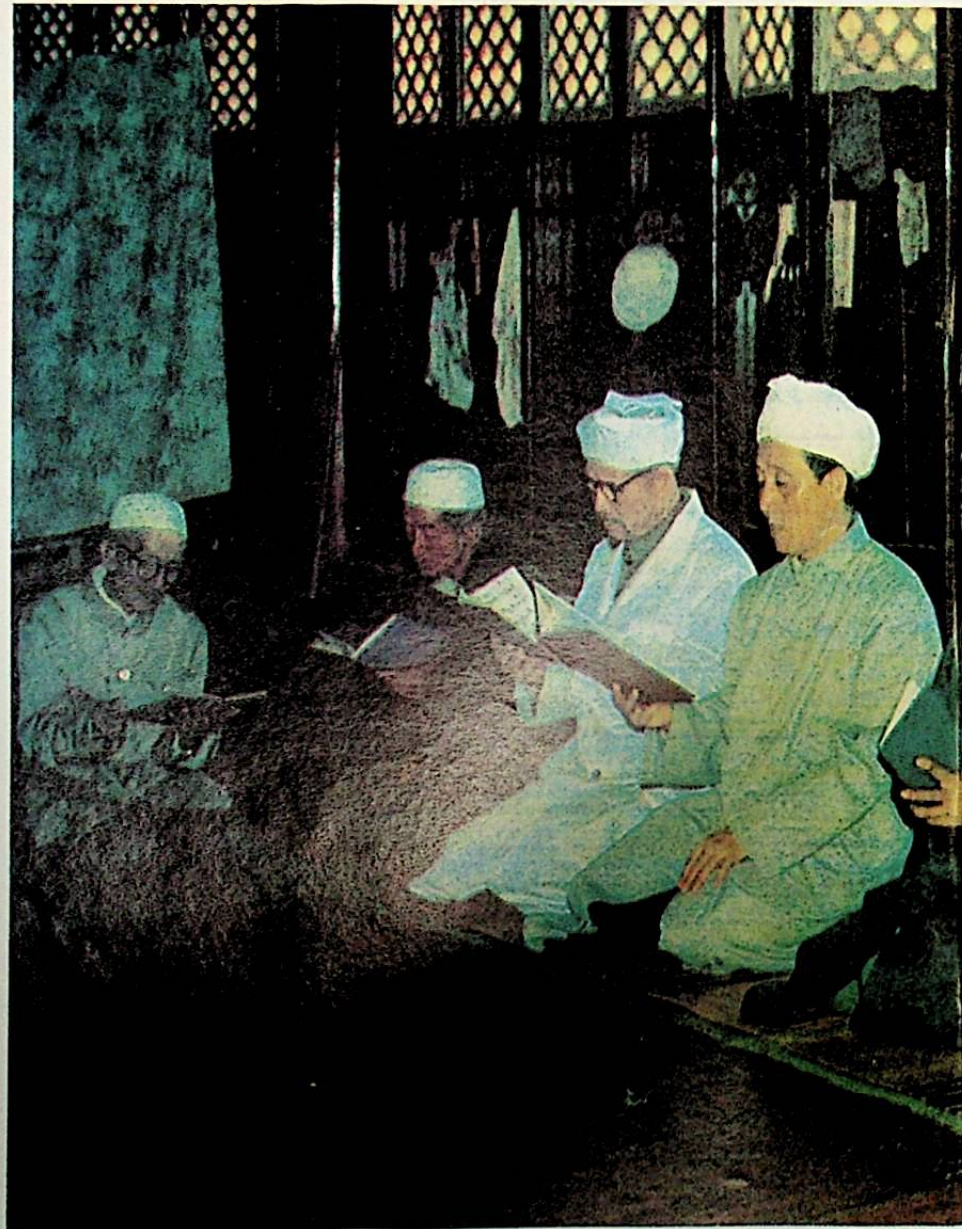
ولا يزال يواجهه الاتحاد الروسي حاليا من مقاومة اسلامية صامدة متواصلة ايضا.

المسلمون في الصين

كان قتيبة بن مسلم اول قائد اسلامي يتجاوز نهر جيحون، ويصل الى مشارف ما يعرف بالصين حاليا، منذ اواخر القرن الهجري الاول، فوصل الاسلام الى تركستان الشرقية/الصينية عبر تلك الفتوحات. وتذكر المصادر الصينية نفسها ان الاتصال المباشر بين المسلمين واهل الصين، بدأ في القرن الاول الهجري/السابع الميلادي، في عهد مملكة تانج، وان بعض المسلمين الذين وصلوا الى كانتون اقاموا داخل الصين منذ ذلك الحين، والتي استقبلت هجرات اسلامية عديدة من بعد، فذكرهم المؤرخون والرحالة، مثل ماركو بولو، وابن بطوطة الذي اشار مثلا انه كان يجد في كل مدينة صينية حيا او عدة احياء للمسلمين، وانهم كانوا على علاقة جيدة باهل البلاد الاصليين، وهذا ما تبدل بصورة جذرية في عهد قياصرة الصين من عائلة مانشو، التي سيطرت على البلاد عام 1644م فبدأت تمارس الاستبداد بالمسلمين على اوسع نطاق، كما بدأت ثورات المسلمين ضد حكام الصين منذ ذلك الحين ايضا.

وكانت كتب التاريخ الاسلامية تذكر سائر المنطقة ما بين القوقاز غربا، الى شرقي حدود ما سمته الصين في هذه الاثناء «مقاطعة سينكيانج» شرقا، واواسط سيبيريا شمالا، باسم تركستان، نسبة الى لغة اهلها التركية، وبقيت كذلك الى ان احتل الروس غربها، والصينيون شرقها، فاصبحت الاراضي الواقعة تحت سيطرة الروس تسمى تركستان الغربية، اما مقاطعة سينكيانج شمال غرب الصين حاليا، فهي ما كان يعرف بتركستان الشرقية، وتبلغ مساحتها 1,7 مليون كيلومتر مربع، اي سدس مساحة الاراضي التابعة للصين حاليا، او ثلاثة اضعاف مساحة فرنسا.. وتضم الصين من الاراضي الاسلامية علاوة على ذلك مقاطعة كانسو،

في تركستان الشرقية لم يستطع الصينيون اخماد ثورات المسلمين لفترة تزيد على مائة عام في عهد مملكة تانج الا عام 1884م، وكانت سيطرة دموية، لم تنقطع بعد سقوط مملكة تانج ايضا، ولكنها لم تمنع من تكرار الثورات، وكبرائها عام 1931 لمدة خمسة اعوام





غير العرق الصيني - الى مختلف الميادين الزراعية والتجارية والامنية والادارية والعسكرية، فضلا عن منعهم من اداء مختلف شعائرهم الدينية واکراههم على المحرمات كلحم الخنزير والمشروبات الكحولية، واغلاق المساجد ومنع المقابر الاسلامية، وغير ذلك مما لا ينفسح المجال الى تفصيل طويل حوله.

وهذا مما اصاب المسلمين في تركستان الشرقية اكثر من سواهم، بسبب ثوراتهم المتوالية، بما فيها ثورة عام 1957م، وثورة عام 1996م، وكذلك بسبب الحدود المشتركة مع المسلمين من تركستان الغربية، قازاقستان وطاجيكستان وقيرغيزيا حاليا ومن باكستان وافغانستان.. واضطرت اعداد كبيرة من المسلمين الى الهجرة حيث يعيشون كاقليات في عدد من البلدان، في مقدمتها قازاخستان وتركيا والمانيا، ولهم في هذه البلدان مراكز يحافظون فيها على اسلام بلادهم الاصل «تركمانيستان» مثل مركز البحوث التركمانستاني في اسطنبول، واتحاد التركمانستانيين الشرقيين في اوروبا، ولكن على النقيض من اقلية مضطهدة اخرى في الصين الشعبية، لا سيما اهل التبت من البوذيين، لا يكاد يجد المسلمون انصارا من جانب المسؤولين، او حتى من جانب «انصار حقوق الانسان» افرادا ومنظمات في البلدان الغربية الا نادرا وبصورة محدودة ومشوهة. وقد شهدت هذه البلدان حملات سياسية واعلامية واسعة النطاق لنصرة اهل التبت، واصبح اسم زعيمهم دالي لالا يفرض نفسه حتى في وسائل الاعلام في البلدان الاسلامية على اوسع نطاق، رغم انهم لم يواجهوا في العامين الماضيين اثناء تلك الحملات المركزة معشار ما واجهه المسلمون في الفترة نفسها في تركستان. ولئن كان المعتقلون من اهل التبت، والمعتقلون من المدافعين عن حقوق الانسان، في حدود العشرات وفق المصادر الغربية، فقد بلغ عدد المعتقلين من المسلمين في عام 96م

ونينج هسيا التي فصلت عنها، وكلتاهاما بغالبية اسلامية تقدر بحوالي 15 مليون مسلم، ومساحتها معا في حدود نصف مليون كيلومتر مربع. والى عهد قريب كان المسلمون هم الغالبية في يونان ايضا، كما انهم ينتشرون بنسب تتراوح بين 1 و 36% في مختلف اراضي الصين الاخرى. وعند انقطاع ذكر المسلمين في الاحصاءات السكانية ابتداء من عام 1947م، كان تعدادهم اكثر من 48 مليوناً من اصل 460 مليون نسمة، فلا يستبعد - ومعظم المصادر تؤكد تمسكهم بدينهم - ان يكون تعدادهم حالياً في حدود 140 مليون مسلم، انطلاقاً من ثبات نسبتهم على الاقل الى السكان بمجموعهم.

تركستان الشرقية..

وقضيتها المظلومة

في تركستان الشرقية وبالذات لم يستطع الصينيون اخماد ثورات المسلمين لفترة تزيد على مائة عام في عهد مملكة تانج الا عام 1884م، وكانت سيطرة دموية، لم تنقطع بعد سقوط مملكة تانج ايضا، ولكنها لم تمنع من تكرار الثورات، وكبرها عام 1931 لمدة خمسة اعوام، وقد انتهت بمساعدة الروس الشيوعيين للصين الوطنية اذذاك، ثم انسحب الروس من المنطقة عام 1943 لتمتد اليها السيطرة الشيوعية الصينية من بعد، الا ان تركستان الشرقية لم تضم رسمياً كمقاطعة بحكم ذاتي الى الصين الشعبية إلا عام 1955 وسميت سينكيانج وتعني الكلمة «الارض الجديدة».

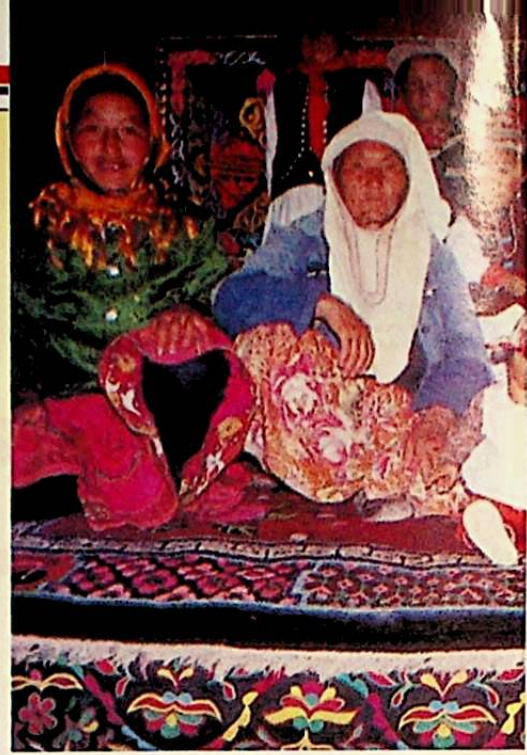
وكان من صور الاضطهاد الشيوعي الصيني للمسلمين، منذ استقرت السلطة في يد ماو تسي تونغ وحزبه، تقسيم أراضيهم الى مقاطعات صغيرة، وتهجير اعداد كبيرة منهم، وتوطين الصينيين من عرق «الهان» مكانهم او معهم في أراضيهم لتخفيض نسبهم في المقاطعات المختلفة، ومنع وصولهم - ومنع وصول شعوب اخرى من بين حوالي 55 عرقاً من السكان

فقط اكثر من خمسين الفا.. ووصل مسلسل الاحداث الى ثورة جديدة ودامية في النصف الاول من شهر شباط/فبراير وبينما تذكر وسائل الاعلام التبت بوصفهم مناضلين للتحرر من السيطرة الصينية الشيوعية على بلادهم، فان اهل تركستان الشرقية كانوا يذكرون على هامش الاحداث الاخيرة، ورغم وصف بعض الوقائع «الوحشية» بموازين حقوق الانسان الغربية جنباً الى جنب مع القول انهم «مسلمون متطرفون واصوليون» على حد تعبير وكالة الصحافة الفرنسية، او «متخلفون يحولون باسلامهم دون اي تقدم اقتصادي او اجتماعي او سياسي» على حد تعبير وكالة الخدمات الصحفية الالمانية. بل وكانت بعض الوكالات تنقل - على غير المعتاد - بعض ما تذكره الجهات الرسمية الصينية، وكأنه امر مسلم بصحته، فاذا نقلت عن مصادر تركستانية شرقية، وبعضها يعتمد على اقوال شهود عيان واخبار يتابعها هاتفياً، نقلته في صيغة «مزاعم لا يؤكد مصدر حيادي»!

مسلسل الاحداث

الاخيرة

واستناداً الى المقارنة بين ما نقلته وكالات الانباء ونقله بعض المراسلين الغربيين من بكين، وكذلك ما ذكرته



مصادر تركستانية شرقية كالمشار إليها، يمكن تأكيد ان مسلسل الاحداث بدأ في شهر رمضان الماضي، وعلى وجه التحديد في 18 رمضان، 27 يناير فتقول احدى الروايات: ان عددا من النساء المسلمات يتراوح بين 50 و 60 امرأة، تحدين حظر الصلاة في المساجد، فقصدن للصلاة مسجدا قديما في ضاحية أيدن قرب مدينة ينينج، فطردهن «رجال الشرطة الشعبية» فتدخل رجال من المسلمين في المنطقة، ووقعت اشتباكات سقط فيها عدد من القتلى، واعتُقل عشرات من المسلمين والمسلمات.. بينما تقول رواية أخرى: ان اعتقال المسلمات كان اثناء اداءهن الصلاة داخل بيوتهن وان عدد المعتقلات كان بالآلاف.

ثم كان الاشتباك الثاني الذي تناقلته وكالات الانباء بعد حوالي اسبوع من وقوعه يوم 1997/2/4 في مدينة يينينج نفسها، عندما تظاهر مئات من المسلمين يطالبون بالافراج عن النساء المعتقلات، فبادرت «الشرطة الشعبية» الى اطلاق النيران وسط جموعهم، وهذا على النقيض من اقوال الحكومة المحلية في المقاطعة التي اتهمت المسلمين بالاعتداء على الصينيين من عرق الهان وعلى ممتلكاتهم، وقالت: ان مجموعة اهابية ارادت قلب نظام الحكم في الولاية، واغرت آخرين باتباعها، وقالت وكالات الانباء: ان

تركيز هذا الاضطهاد على المسلمين وكذلك على اهل التبت المتمسكين ببوذيته، الا ان لحكومة بكين اسبابا اضافية وراء ما تمارسه من اضطهاد في تركستان الشرقية، التي جعلتها منذ عام 1950 كما صنع الاتحاد السوفييتي بمنطقة قازاخستان، مسرحا للتجارب النووية، وهذا من اسباب عزوف الصينيين عن الاستيطان فيها كما صنعوا في مناطق اسلامية أخرى..

وفي مقدمة اسباب حرص بكين على تشديد قبضتها على تركستان الشرقية ايضا، وجود جزء ضخم من الاحتياطي النفطي فيها، وكانت على الدوام مصدرا للطاقة في الصين الشعبية، ولكنها لم تحصل على شيء يذكر من العائدات بصورة تنعكس على اوضاعها الاقتصادية المتردية، باستثناء ما يصل الى اقلية عرق الهان الصيني، المسيطرة على التجارة، وعلى القليل من الزراعة في المنطقة التي ادى اهمالها الى انتشار القحط والجفاف فيها.

وكما تخشى موسكو من ان يؤدي التراجع عن مواقفها المتعنتة في الشاشان، الى انتشار «عدوى التحرر» في كافة المناطق الاسلامية، تخشى بكين من تطور ينتهي الى سلخ المنطقة الاسلامية التي تزيد على اكثر من سدس مساحتها، بينما تقدر القوى الغربية ان شرارة الجهاد الاسلامي التي انطلقت من قبل في افغانستان، لن يسهل تجميد مفعولها او احتواء نتائجها بصورة مشابهة لما يجري هناك حاليا نتيجة النزاعات المحلية، وان التحرر الفعلي للمسلمين في وسط آسيا سيؤدي أجلا او عاجلا الى تبديل موازين القوى في القارة الآسيوية بمجموعها، وعلى امتداد المنطقة الاسلامية بين المحيطات الثلاثة.. وهذا ما يجعلها تقف موقفها المتجاهل او المعادي ازاء ثورات التحرر الاسلامية، ولكن ما الذي يبرر مواقف الدول الاسلامية نفسها، وادنى ما يقال فيها: انها مواقف التجاهل، او مواقف التقاعس عن نصره الاسلام والمسلمين في تركستان الشرقية وسواها..؟؟

المسلمين المتظاهرين كانوا يدعون الى استقلال بلدهم عن الصين الشعبية وترحيل المستوطنين الصينيين من الهان عنه. ولكن المصادر الصينية تحدثت عن يومي 4 و5 شباط/فبراير، وتجاهلت ما قبلهما، وكانت السلطات قد عززت قوات الأمن باعداد كبيرة، وهي مرتفعة العدد في مناطق المسلمين من الاصل، وتشمل علاوة على القوات العسكرية ميليشيات «الشرطة الشعبية» و«حرس الحدود» فبلغ عدد القتلى في اليومين المذكورين اعدادا ضخمة، ادناها 100 شخص حسب اقوال مصادر غربية، واقصاها 1000 شخص كما تقول رابطة تركستان الشرقية في اسطنبول. كما بلغ عدد المعتقلين اكثر من 2000 مسلم.

وبدأت يوم 97/2/11 المحاكمات الجماعية للمعتقلين، فنفذ الحكم الاول في يوم المحاكمة نفسه، وكان قد اعدم يوم 97/2/7 على سبيل الارهاب المحض 30 مسلما دفعة واحدة امام سكان المدينة، مع اختتام الاحتفالات بعيد رأس السنة الصينية، وتقول المصادر التركستانية: ان عدد من اعدموا بلغ مائة شخص عقب الاحداث مباشرة، والمرجح ان مسلسل الإعدام لم ينقطع في الايام التالية ايضا. ومعظم الانباء لم تخرق الستار الحديدي الصيني الا في حدود ما جرى في مدينة يينينج في أقصى الشمال الغربي بينما امتدت الاضطرابات الى مدن أخرى كالعاصمة أورومكي، ومدينة خاتان في الغرب، ولم يتسرب الكثير عن نتائج تلك الاضطرابات في المقاطعة التي يتراوح عدد سكانها بين 16 و 17 مليونا منهم حوالي 5% من عرق الهان الصيني، بينما ينتسب 7 ملايين على الاقل الى المسلمين الايغوريين، وهم من تذكروهم وكالات الانباء عند القول بان غالبية المسلمين في حدود 56% بينما لا تذكر الشعوب المسلمة الاخرى الناطقة بالتركية والتي يزيد تعدادها على 7 ملايين آخرين. ولا ريب ان الاضطهاد الشيوعي لادايان عموما يلعب دورا رئيسا في